الفصل الثاني عشر

القرينة التاريخية والثقافية

في الفصول الأولى من هذا الكتاب أكَّدنا تكرارًا، أن تفسيرنا يجب أن يكون محكوما بثلاث قرائن كتابية من: (1) الفقرة التي أمامنا، (2) هدف أو مجال السفر أو الجزء من الكتاب المقدس الذي يوجد فيه هذا النص، (3) التناظر في الإيمان، أو التعليم العام للكتاب المقدس ككل. على أي حال، فإن بعض الكُتَّاب في موضوع التفسير يُصرُّون على نوع آخر من الثلاثيات. فمثلا Brian Edwards في كتابه الرائع "لا شيء غير الحقيقة" "Nothing But the Truth" يكتب: "كل كلمة في الكتاب المقدس لها ثلاث قرائن. ربما نفكر في هذه القرائن كما لو كانت الغرفة والبيت والشارع الذي تسكن فيه هذه الكلمة. فالغرفة هي القرينة الكتابية... والبيت الذي يحتوي الغرفة الكتابية، هو القرينة التاريخية، والشارع الذي يحتوي البيت التاريخي يمثل الأحوال المحلية في ذلك العصر، وهذه الأخيرة هي القرينة الثقافية. الثلاث قرائن لكل آية كتابية هي الغرفة الكتابية، والبيت التاريخي، وشارع الأحوال المحلية. القرينة الأولى ضرورية، والاثنتان الأخريان مفيدتان جدا[1].

بعض تطبيقات هذه القاعدة قد انتُقدت بشدة، على أساس أن: "كلمة الله قد كُتبت كلها لكل المؤمنين في كل العصور"، شريطة أن لا تسخَّر هذه الجملة لتعني أكثر مما قيل في 2تيموثاوس3: 16، التي لا يعارضها أي مؤمن إنجيلي. هذه الآية هي: "كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر". أما إذا وُجِّهت لتعني أكثر من ذلك فإننا سوف نجد أنفسنا محمَّلين بعديد من الممارسات الغريبة التي لا تلائم مناخنا أو ثقافتنا. في بعض الأجزاء النائية من الولايات المتحدة لازالت هناك طائفة تُدعى "Hook and Eye Mennonites" الذين يعتبرون استخدام الأزرار أمرًا دنيويًّا، كما أن المعمدانيين الملقَّبين Free – Will Baptists (ذوي الإرادة الحُرة) أيضا في

الولايات المتحدة، لا يزالون يمارسون غسل الأرجل. وإذا كانت كلمة الله حرفية بالنسبة لكل المؤمنين في كل العصور، فنحن مطالبون حينئذ أن نرجم الزاني والزانية حتى الموت.
وبينما كان كاتب هذه السطور في الهند، كثيرا ما تقابل مع مسيحيين هنود (عادة في مناطق ريفية) الذين كانوا يُصرُّون على خلع أحذيتهم قبل الدخول إلى مكان العبادة، ويقتبسون هذا من الوصية التي أُعطيت لموسى في خروج3: 5 وليشوع في يشوع5: 15 لتأييد هذه الممارسة.

علينا أن نُميِّز بين تلك الوصايا الموجودة في الكتاب المقدس – التي يجب أن تُطاع حرفيا في كل مكان وفي كل العصور – وبين تلك الوصايا التي تحكمها الظروف والحضارة. بالنسبة للوصايا الأخيرة، فإنه من مسئوليتنا كمفسرين للكتاب المقدس، أن ندرك المبدأ الكتابي الذي يوجد وراء الوصية أو الممارسة، وحينئذ نُصرُّ على تطبيق المبدأ، في نطاق القرينة الثقافية والأحوال المحلية التي نجد أنفسنا فيها. وكأمثلة للوصايا العامة الموجودة في الكتاب المقدس يمكن أن نورد: "وصية جديدة أنا أعطيكم، أن تحبوا بعضكم بعضا" (يوحنا13: 34). "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل...." (مرقس16: 15)، "ليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح..." (أعمال2: 38). ولكن حتى بالنسبة للوصية الثانية من الثلاث وصايا السابقة الشاملة، فإننا نحتاج أن نتوخى الحذر في تطبيقها. إنها شاملة في تطبيقها، بمعنى أن الكنيسة بأسرها في كل العصور مُلزَمة أن تكرز بالإنجيل للعالم أجمع.

ولكن هذه الوصية لا يمكن أن تعني بأي حال، أن على كل مؤمن أن يترك المكان الذي يعيش ويعمل فيه. وبالتأكيد أنها لا تعني أن كل مؤمن عليه أن يعظ ما لم نكن مستعدين أن نفسر كلمة "اكرزوا" (معناها حرفيا – "إعلان الأخبار السارة") على أنها تشمل كل شهادة بسيطة، يقوم بها مؤمنون متواضعون لجيرانهم غير المسيحيين.

وكأمثلة للوصايا غير العامة، لابد أن نورد هنا الكثير من الشرائع (مع أنها ليست بالطبع الوصايا العشر) التي وُضعت لبني إسرائيل في الأسفار الموسوية الخمسة، التي كانت تسمح مثلا بتعدد الزوجات، والتي كانت تُنزل عقوبة الجَلد 40 جلدة إلا واحدة، وبرجم الزناة. ومن العهد الجديد فإن الوصية القائلة: ".. فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض" (يوحنا13: 14)، "سلِّموا بعضكم على بعض، بقبلة مقدسة" (1كورنثوس16: 20)، ".... استعمل خمرا قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة" (1تيموثاوس5: 23).

في الجو الحار سوف يكون منفِّرا لمضيفيك إذا لم تخلع حذاءك وتغسل قدميك، أو تستسلم لأن يُغسَلوا، قبل الجلوس لتناول الطعام، بينما في الأجواء الباردة ربما يكون أكثر تنفيرا إذا خلعت حذاءك في حضور آخرين معك.

إن الإشارة السابقة إلى الشرائع التي في الأسفار الموسوية الخمسة تُذكِّرنا بأنه يتحتَّم علينا التعرف على الأسلوب التدبيري* المحدد الذي سوف يحكم تفسيرنا. إن رد الفعل الطبيعي والصحيح ضد التطرف في العقيدة التدبيرية السائدة في بعض دوائر الأصولية الأمريكية، هناك الذين وصل بهم الأمر أن يقولوا أنه لا يوجد إطلاقا نموذج تدبيري في كل اللاهوت الكتابي. من الواضح أن هذا مناف للعقل. فبدون الوقوع في فخ المزيد من التطرف في هذا الاتجاه، لدرجة إنكار عضوية إبراهيم وموسى – وغيرهم من مؤمني العهد القديم – في الكنيسة، فإننا برغم ذلك ملتزمون بأن نُسلِّم بأن الله تعامل مع شعبه في ذلك العصر بطرق لم يعد يستخدمها. إن الكثير من الجدل في الرسالة إلى العبرانيين يعتمد على هذه الحقيقة؛ فبمجيء يسوع

---

* للتعرف على المقصود بالتدبير وعقيدة التدبيريين أنظر الموجز الموجود في نهاية الفصل.

المسيح قد بدأ عصر جديد "الأيام الأخيرة". هل يجانبنا الصواب لو أننا جزمنا بحذر، أن العصر الرسولي كان أيضا فريدا في بعض النواحي، وأن بعض الأمور التي حدثت حينئذ، لا يجب أن نتوقع حدوثها الآن؟

إن أصحاحي2، 4 من سفر الأعمال يتحدثان عن نوع من الإشتراكية الفطرية، هل يجب أن يُتَّبع ذلك المثال حرفيا، بواسطة كل المؤمنين في كل العصور؟ إن بعض المحاولات الحديثة لتأسيس نوع من الاشتراكية المسيحية قد انتهت بنهاية مأساوية.

لقد كان الرباط الرسولي شرطًا فريدًا لفترة انتقالية، في أثنائها ترسخت الكنيسة في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية. لقد أُسست الكنيسة بطريقة آمنة، وأخيرا استُودعت البناء الكامل لوَحي العهد الجديد. لقد وجَّه النقاد نحونا تعبيرا رخيصا، بأننا نعتقد أننا أفضل من الرسول بولس، حيث أننا نمتلك الكتاب المقدس القانوني كاملا. ليس هذا هو اعتقادنا؛ فكل الذي نود أن نؤكد عليه هو أن الكنيسة في مرحلة تكوينها الأولى، احتاجت للإرشاد والتوجيه من الرسل المُلهَمين لأنه لم يكن عندهم العهد الجديد مكتوبًا، بينما في أيامنا ليس لدينا الحضور المادي للرسل، ولا خدمتهم المباشرة، فنحن لسنا في حاجة إليها، ولكن عندنا كتاباتهم، وهي مرشدنا المعصوم من الخطأ، والذي نعتمد عليه تماما في كل أمور الإيمان والسلوك. لهذا السبب فإننا مضطرون لأن نتساءل إن كانت كل تعليمات الرسول بولس بحذافيرها- لتنظيم المظاهر الكاريزماتية في كورنثوس – مناسبة لكنيسة اليوم؟ كما نتساءل إن كانت التصرفات غير المقبولة من مجموعة السيدات المتحررات في كورنثوس، المنحلة أخلاقيا، تشكل تفاصيل القواعد التي تحكم أسلوب زينة وكساء النساء إلى نهاية الأيام؟

هل ما جاء في سفر التثنية22: 5 له علاقة بأوضاعنا المعاصرة؟ وإذا كانت الإجابة بالإيجاب فبأيَّة طريقة؟ إننا في بعض الأحيان نسقط في الخطأ؛ بسبب سذاجتنا أو بساطتنا، خاصة الذين ينتمون إلى جيلٍ أقدم، ويكونون قد تربوا في ظروف متزمتة نسبيا؛ فهؤلاء يصعب عليهم إدراك مدى فساد أسلوب حياة سكان كنعان، أو مدى رداءة

أسلوب حياة سكان العالم الإغريقي – الروماني، في القرن الأول من تاريخنا. إننا بكل أسف نفقد الكثير من براءتنا، كلما شاع وجود هذه الأمور البغيضة في مجتمعنا المعاصر. في بعض الأحيان نحتاج أن نكون قادرين على الأقل، أن نخمن بعضًا من هذه الشرور؛ لنستطيع أن نفسِّر بطريقة صحيحة، بعض المحظورات في الشريعة الموسوية وبعض النصائح، التي أعطاها الرسول بولس للكورنثيين. إنه من السذاجة أن نفكر أن تثنية22: 5 تتعلق بسيدات القرن العشرين في بريطانيا اللاتي ترتدين بنطالونات فضفاضة وما إلى ذلك. والأكثر احتمالا أن يكون هذا منعًا للسلوك المنحرف (إرتداء ثياب الجنس الآخر بقصد التمتع الجنسي)؛ فإدمان هذا السلوك الفاسد – سواء أن الرجال يلبسون ملابس النساء أو العكس بالعكس – إنما يهدف لأغراض غير أخلاقية. علاوة على ذلك فإن العبادات التي تتعلق بالخصوبة وترتبط بالبعل في كنعان، من المحتمل أنها كانت تشمل بعض الممارسات التي يمارسها بعض الهندوس القرويين في الهند إلى يومنا هذا.

ولتلخيص هذا الموضوع، يمكننا القول أنه: "مع أن هذه الوصية في وضعها الأصلي لا تتضمن توجيها مباشرا للحياة الحديثة، إلا أنها تتضمن بعض الأمور بطريقة غير مباشرة. فهناك قِيَمٌ إيجابية، لحفظ وصيانة الاختلاف بين الجنسين فيما يختص بالثياب.."[2]. إن لنا كل الحق أن نشعر ببعض النفور من الأزياء الحديثة الشائعة بين النساء (وبين الرجال!)، ولكن من القسوة وعدم الحكمة – وربما غير كتابي – أن ندين السيدات على الارتداء البريء للبنطالونات على أنه "شيء بغيض بالنسبة لله" على أساس تثنية22: 5.

ولكن قبل أن نترك هذا الموضوع يجب أن ننتبه جيدا للتحذير المنقول في الاحتجاج التالي: "إذا قلنا، حسنا، إن هذا أو ذاك لا ينطبق إلا على وضع محلي، فإننا نستطيع أن نُعفي أنفسنا، من تطبيق أجزاء كبيرة من الكتاب المقدس...". يجب أن نعترف أن مبدأ التفسير ضمن نطاق القرينة الحضارية، معرض لإساءة استخدامه، كما أنه عُرضة لأن يُطبق بطريقة غير موضوعية. يجب أن نكون واعين ومتيقظين لهذا. على سبيل المثال، فإن كثيرًا من الحجج التي استُخدمت سابقا (ونحن نعتقد أنها استُخدمت كما ينبغي)

تُستخدم الآن لتخدم رغبات أولئك المتحمسين لرسامة النساء. ولكن بالإضافة إلى أسباب ثقافية أو محلية محضة – التي ربما كانت وراء تحريم الرسول بولس النساء من اقتحام مهمة التعليم واغتصاب السلطة – واضح أن هناك أسبابا لاهوتية معلنة تعود إلى بداية تاريخ الجنس البشري، تضع في اعتبارها إختلاف البنية المزاجية للجنسين (الرجال والنساء). ولهذه الأسباب فإن هذا التحريم ليس موقوفا على شروط حضارية، ولكنه يسري على كل النساء في كل العصور. ليعطنا الله حكمة لكي نميِّز الأمور المتخالفة.

ومع أننا ممتنُّون لأجل كل النور، الذي يتدفق على الخادم المكرَّس، من معرفة القرينة التاريخية والثقافية، التي من خلالها قام كُتَّاب الكتاب المقدس المختلفون بمُهمَّتهم، فإننا نحتاج إلى كثير من الحذر. قد نندهش في بعض الأحيان من الثقة بالنفس التي بها ينظر بعض الخبراء للخلف من خلال ضباب 2000 سنة، ويدَّعون أنهم يفهمون القرينة التي قيلت فيها الأمثال أو كتبت فيها الرسائل.

يجب أن نكون حذرين من تأثرنا الشديد بثقافتنا؛ فإذا كان رأي معاصر في العالم حولنا، يميل إلى اتجاه معين، فمن المحتمل جدا أن مثل هذه الآراء تتبناها الكنائس وقادتها. ففي تاريخ علم اللاهوت نجد أن صياغاته كثيرًا ما تعكس بكل الدقة والأمانة، صياغات المجتمع العالمي!

تدبير: اتفق اللاهوتيون على إطلاق كلمة تدبير لوصف ترتيب الله لتنفيذ مقاصده نحو الإنسان.

التدبيريون: يختلف علماء اللاهوت التدبيريون عن علماء اللاهوت العهديين في أن العهديين يرون أن عهد النعمة يهيمن على العهدين القديم والجديد وأن أي تغيير يطرأ على أسلوب التنفيذ ما هو إلا وجه من وجوه عهد النعمة الشامل لكل العصور، فأساسه خلاصي.
أما التدبيريُّون فينظرون إلى تسلسل الوحي على أنه سلسلة من التدابير التي أعدها الله للإنسان على مدى العصور، ويعرف "سكوفيلد" التدبير بأنه فترة زمنية تُمتَحن خلالها طاعة الإنسان لإعلان معين لمشيئة الله. وبعض التدبيريين يقولون بوجود أربعة تدابير (آدم إلى إبراهيم – إبراهيم إلى موسى – موسى إلى المسيح – من المسيح إلى النهاية). ومنهم من يقول بوجود تدبيرين فقط هما العهد القديم والعهد الجديد.
(للاستفاضة يمكن الرجوع إلى : دائرة المعارف الكتابية – علم اللاهوت النظامي).